عناصر بناء السورة القرآنية عند الدكتور محمود البستاني دراسة من خلال تفسيره البنائي

م . م . شيماء مهدي منصور
الجامعة المستنصرية – كلية التربية
قسم علوم القرآن الكريم

الملخص:

قصدت الباحثة بهذا البحث دراسة العناصر البنائية للسورة القرآنية المباركة من خلال منهج التفسير البنائي الذي سلكه البستاني – رحمه الله – .

وعصارة الحقائق التي خرجت بها الباحثة أنَّ السورة القرآنية عند د. البستاني تبنى من ثمانية عناصر هي : العنصر الفكري والعنصر الموضوعي والعنصر المعنوي والعنصر الصوري والعنصر اللفظي والعنصر الإيقاعي والعنصر الشكلي والعنصر البنائي .

وهذه العناصر عنده – رحمه الله – هي نفسها عناصر بناء النص الأدبي ، إذ إنَّ كلا النصين (السورة القرآنية والنص الأدبي) – من وجهة نظره – يظلَّان خاضعين لهذه العناصر بشكل عام ، إلا أنَّه ينظر إلى السُّورة على أنها شكلٌ أدبيٌ متفردٌ متميِّزٌ قد فاق غيره من البناءات الأدبيَّة الأخرى.

وقد وجدت الباحثة من خلال هذا التفسير أنَّ بناء موضوعات السورة المباركة يتم على وفق واحدة من أربعة أساليب ، وواحدة من ثلاث علاقات ، فأما الأساليب فهي : أسلوب الفكرة الواحدة والموضوع الواحد ، وأسلوب الفكرة الواحدة والموضوعات المتعددة ، وأسلوب الموضوع الواحد والأفكار المتعددة ، وأسلوب الأفكار المتعددة والموضوعات المتعددة .

وأما العلاقات فهي : علاقة السَّببيَّة ، وعلاقة النموِّ ، وعلاقة التجانس .

المقدمة:

تبنى السورة القرآنية عند د. محمود البستاني – رحمه الله – من ثمانية عناصر بحيث يكون كل عنصر منها بمنزلة مادة أساسية من مواد بنائها .

ويرى – رحمه الله – أنَّ عناصر بناء السورة المباركة هي نفسها عناصر بناء النص الأدبي ، إلا إنَّه ينظر إلى السورة على أنها شكلٌ فنيٌّ معجزٌ فاق بنائُه كلَّ البناءات الأدبية الأخرى .

وقد اقتضت منهجية بحثنا أن تكون مقسَّمة على تسعة مطالب نتناول في كل مطلب من المطالب عنصراً من العناصر البنائية للسورة القرآنية ؛ مع الإشارة إلى الأساليب الفنية التي يتم على وفقها بناء موضوعات السورة المباركة :

المطلب الأول : العنصر الفكري :

أولاً : مفهوم العنصر الفكري :

يعرِّفه د. البستاني بأنه : (الفكـــرة التي تضمنها النص)[١] .

ولتوضيح هذا المفهوم نضرب أنموذجاً إجرائياً هو سورة العاديات ، قـــال تعـــالى : ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا * فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا * فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا * فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا * إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ * وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ * وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ * أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ * إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾[٢] .

قال د. البستاني : (إنَّ ما يعنينا من هذه المقاطع هو : بناؤها الفني من حيث صـــلة بعضها مع الآخر ، وما تنطوي عليه من المحاور الفكرية ... لا شك أنَّ لفت النظر إلـــى مفردات من السلوك مثل الكفران بالنعم وحب المال وهما سمتان مرتبطتان من الزاويـــة النفسية بعضهما مع الآخر ، نظراً لأنَّ الجاحد لنعم الله تعالى يحوم على ذاته ويراها هي المحققة لإشباعه ، وأما حب المال فهو التعبير الصارخ عن الذات والحومان حولها. هاتان السمتان – لا شك – أنَّ النص قد جعلهما محوراً فكرياً يستهدف لفت النظر إليهما)[٣] .

فالملاحظ أنَّ مقاطع السورة بأكملها كانت قد انطوت على فكرة مركزية جُعلت محوراً فكرياً يراد إيصاله إلى المتلقي تتمثل في سمتي الكفران بالنعم وحب المال ، كمـــا أشـــار إليهما – رحمه الله – وقد انتخبتهما السورة الكريمة لتجسيد فكرتها المذكورة آنفـــاً .

ثانياً : أسلوب صياغـــة العنصر الفكري :

هناك ثلاثة أساليب عند د. البستاني – رحمه الله – يتمُّ على وفقها صـــياغة العنصـــر الفكري للنص القرآني الكريم هي :

١- الأسلوب المباشر:

ومعناه أن النص الكريم يعلن عن فكرته بشكل صريح ومباشر، بحيث لا احتياج إلـــى إعمال الذهن في استنتاج تلك الفكرة[٤] كقوله تعالى : (فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ)[٥] فقد طرح هذا النص فكـــرة الحفـــاظ علـــى الصلوات وفكرة عدم الرياء فيها طرحاً مباشراً من خلال استعمال الألفاظ الدالة على هذا المعنى، إذ لا احتياج بعد ذلك إلى إعمال الذهن لاستخلاص تلك الفكرة .

٢- الأسلوب غير المباشر:

المقصود منه هو أن فكرة النص الكريم قد تُطرح بنحو خفي مستتر ، بحيث لا يدركها القارئ إلا بعد تأمل دقيق وإعمال الذهن فيها[٦] ومثالها قوله تعالى : (وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)[٧] .

فإن قارئ هذه الآية على النحو الظاهر يُخيَّل إليه أنَّ نسوة المدينة قد دفعتهن الفضيلة إلى إنكارهن هذا السلوك ، بينما القارئ المتدبر المتمعن يدرك العكس مـــن ذلـــك ، فقـــد يستخلص أكثر من فكرة منها : الفضول أو اللوم ، كما يمكن أن يستخلص من ذلك نظافة سلوكهن وإخلاصهن من خلال إنكارهن لهذا العمل، إلا أن موقف تقطيع الأيدي بالنســـبة إلى النسوة عند مرور يوسف "عليه السلام" عليهن يساعد على الاستدلال الذاهب[٨] الـــى معنى الفضول والمكر ونحو ذلك ، بدليل أن النص الكريم قد وصفهن بذلك بقوله : (فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ)[٩] .

٣- الأسلوب المزدوج :

المقصود منه أن فكرة النص الكريم تُكتشف بعض أجزائها بشكل مباشر ، وبعضـــها الآخر بشكل خفي[١٠] ومثالها قوله تعالى : (وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ

هيت لك قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ)[١١] فإن قارئ هذه الآية تنجلي له فكرتها بوضوح من خلال الألفاظ الدالة على المعاني، إذ إن قوله تعالى : " **قال معاذ الله** " دالٌ على الاستعاذة ، وقوله تعالى : " **إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** " دالٌ على عدم فلاح الظالم وهكذا.

أما الأفكار الخفية التي يمكن اكتشافها بصورة غير مباشرة فهي : عدم نظافة امرأة العزيز ، وعدم تورعها عن إلحاق الأذى بيوسف "عليه السلام" ...الخ[١٢] .

المطلب الثاني : العنصر الموضوعي

أولاً : مفهوم العنصر الموضوعي

يعرفه – رحمه الله – بأنه : (ما يتضمنه النص من الموضوعات التي تجسِّد الفكرة)[١٣] أي فكرة النص التي سبق الحديث عنها .

ثانياً : مادة العنصر الموضوعي :

المادة التي تتألف منها موضوعات السورة – بحسب ما يرى رحمه الله – أربعة هي :

١. الشخصيات :

المقصود بها كل ما هو موجود واعي بمقدوره التحرك والعمل والتحدث والتفكر ، سواء أكان بشراً أو غيره من سائر المخلوقات الواعية[١٤] .

٢- الحوادث :

المقصود منها الأفعال الواقعة سواء أكانت بشرية كالمعارك والحوادث أو طبيعية كالزلازل والفيضانات ونحوها[١٥] .

٣. البيئات أو الأشياء :

المقصود منها الأشياء الجامدة أو المتحركة المجسدة لمكان وزمان ما كالمشهد الطبيعي للجبال والأشجار والأنهار ونحوها[١٦] .

٤. القيم أو المواقف :

يُقصد بالقيم : الظواهر المعنوية العقلية أو النفسية ، مثل مفهوم العدل والحق والإيمان والحرية ...الخ ، أما المواقف فهي : السمة المجسدة للأشخاص في موقف من المواقف ،

فيُقال – مثلاً – : " رجلٌ مؤمنٌ " يعني أنه يجسد الإيمان ، ويقال : " رجلٌ صابرٌ " فحينئذٍ هو يجسد الصبر في موقف معين وهكذا [١٧] .

ثالثاً : الموضوع وفكـــرتـــه :

يخضع العنصر الموضوعي للفكرة التي يقوم عليها النص القرآني لجملة من المبـــادئ هـــي :

١. انتخاب الموضوع :

المقصود منه اختيار الموضوع الملائم للفكرة التي يستهدفها النص الكريم ، فيكون ذلك الموضوع مجسداً لجميع الأجزاء التي تتطلبها الفكرة [١٨] .

٢. تحديد الموضوع :

المقصود منه تحديد الموضوع المراد وحصره في نطاق خاص على نحو يناسب فكرة النص نفسهـــا[١٩] .

٣. وحدته وتنوعه :

المقصود منه أنَّ النص الكريم قد يطرح موضوعاً واحداً أو أكثر لتجسيد فكرة مـــــا ، حسبما تتطلبه تلك الفكرة من موضوعات مُجسدة لهـــا[٢٠]، فقـــد تكـــون الفكـــرة واحـــدة والموضوع واحداً ، وقد تكون الفكرة متعددة والموضوع متعدد ، أو غيرها من الأساليب الفنية التي سيأتي الحديث عنها في المبحث التاسع .

المطلب الثالث : العنصر المعنوي

أولاً : مفهوم العنصر المعنوي :

يعرفه – رحمه الله – بأنه : (المعاني أو الدلالات التي يتضمنها النص الأدبـــي مـــن حيث الطريقة التي تترتب من خلالها المعاني في ذهن المنشئ الأدبي)[٢١] .

وقد تتطلب صياغة ترتيب المعاني من حيث دلالتها التعبيرية مـــا تتطلبـــه الكلمـــة أو الجملة أو المقطع من تقديم أو تأخير أو ذكر أو حذف أو إجمال أو تفصـــيل أو نفـــي أو إثبات أو إيجاز أو إطناب .... الخ ، لأن النص يكتسب صفته البلاغية بقـــــدر مراعـــاة المنشئ طريقة ترتيبه المعاني في ذهنه [٢٢] .

المطلب الرابع : العنصر الصوري

مفهوم العنصر الصوري :

يعرفه – رحمه الله – بأنه : (العنصر التخيلي، متمثلاً في إيجاد علاقة بين شيئين لا علاقة حقيقية بينهما في الواقع)[٢٣]، مثل قوله تعالى في وصف الكافرين : ﴿إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا﴾[٢٤]، فقد أوجد النص الكريم هنا علاقة بين الكافرين وبين الأنعام مع عدم وجود علاقة بينهما من جهة الخلق ، إلا أنَّ الهدف من هذا التصوير يكمن في اشتراك كلا المخلوقين بوجه شبه واحد يتمثل في الضياع والضلال .

المطلب الخامس : العنصر اللفظي

أولاً : مفهوم العنصر اللفظي :

يعرفه البستاني بأنه : (ما يرتبط بالألفاظ من حيث كونها مفردات أو مركبات ذات صياغة خاصة ، ومن حيث كونها أدوات معبرة عن دلالة محددة ، حيث ينبغي أن تخضع لقواعد بلاغية خاصة)[٢٥] .

ثانياً : أشكال العنصر اللفظي للتعبير القرآني :

١. العبارة المفردة : وهي اللفظة الواحدة من الكلام .

٢. العبارة المركبة : وهي ما تركبت من كلمتين فصاعداً ، وهي على نمطين :

– عبارة حقيقية : وهي العبارة المتضمنة دلالة حقيقية تتطابق معها .

– عبارة مجازية : وهي العبارة المتضمنة دلالة لا تتطابق معها، بحيث صيغت تجوَّزاً في التعبير[٢٦]، مثل قوله تعالى : (﴿واسأل القرية التي كنا فيها﴾)[٢٧] فإنَّ القرية لا تُسأل ، وإنما يُسأل أهلها ، وكان الأصل فيها " واسأل أهل القرية "، وقد حذف التعبير الكريم المضاف " أهل " وجعل المضاف إليه يقوم مقامه لغرضين بلاغيين – كما يرى رحمه الله– هما : الإيجاز من جهة ، وإعمال عقل المتلقي لاكتشاف الدلالة التعبيرية من جهة أخرى[٢٨] .

كما أن في ذهابه – رحمه الله – إلى القول بأن الغرض من مجيء العبارة المجازية قد يكمن في إعمال عقل المتلقي في اكتشاف الدلالة التعبيرية ، خير دليل واضح ، وبرهان لائح ، على من أنكر وقوع المجاز في القرآن[٢٩] لأنَّ القول بعدم وقوع المجاز

يؤدي إلى فقدان محاسن التعبير القرآني ومزاياه البلاغية التي يتجلى فيها إعمال عقل المتلقي، فضلاً عن أنَّ التعبيرات القرآنية بهذه الحال ستصبح تعبيرات جليَّة سطحيَّة واضحة لا إعمال للعقل فيها، وكيف يكون هذا ! وقد صرَّح القرآن الكريم نفسه بضرورة التأمل والتدبر فيه بقوله : (كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ)[٣٠]، ولا شك في أنَّ إعمال عقل المتلقي هو من أوضح مصاديق التدبر الذي نصت عليه الآية الكريمة .

ثالثاً : الأسلوب اللفظي للتعبير القرآني :

ويعني به البستاني : (الطريقة التعبيرية للألفاظ المفردة والمركبة ، التي تتمُّ وفق نمطين من التعبير هما السرد والحوار)[٣١] .

رابعاً : أنماط الأسلوب في التعبير القرآني :

أنماط الأسلوب التعبيري للسورة القرآنية عنده – رحمه الله – يتمُّ من خلال أسلوبين لا ثالث لهما هما :

١. السرد :

المقصود منه : عرض الحقائق التي يتضمنها النص الكريم بأسلوب إخباري[٣٢]، كما في قوله تعالى في قصة الحديث عن صاحب الجنتين في سورة الكهف : (**وكان له ثَمَرٌ**)[٣٣] فقد جاء التعبير الكريم هنا للإخبار عن وجود رجل يمتلك مزرعتين مثمرتين .

٢. الحوار :

يقصد به : عرض الحقائق التي يتضمنها النص الكريم على لسان أشخاص آخرين، وذلك عن طريق محادثة تتم بين طرفين أو أكثر[٣٤] كما في قوله تعالى بعد ذكر العبارة السردية المذكورة : (**فَقَال لِصَاحبهِ وهو يُحَاورُهُ أَنَا أكثرُ مِنكَ مَالاً وأعزُّ نفرا**)[٣٥]، فقد رسم التعبير الكريم في الأسلوب الأول شخصية صاحب الجنتين من خلال مبدع النص عندما ذكر أنه يمتلك مزرعتين مثمرتين، ورسم في الأسلوب الثاني شخصية صاحب الجنتين من خلال لسانه القائل : (**أَنَا أَكْثَرُ**) .

*** أقسام الحوار في التعبير القرآني :**

يرى البستاني أن أسلوب الحوار في التعبير القرآني ينقسم إلى قسمين رئيسين هما :

١. الحوار الخارجي : والمقصود منه المحادثة التي تُجرى بين طرفين[٣٦]، سواء أكانت هذه المحادثة بين شخص وآخر كما في حديث صاحب الجنتين فيما تقدم، أو شخص وجماعة كما في محادثة شعيب مع قومه في قوله تعالى : (قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ)[٣٧]، أو جماعة وشخص كما في محادثة قوم نوح مع نوح في قوله تعالى : (قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ)[٣٨]، أو جماعة وجماعة كما في محادثة أهل النار مع أهل الجنة في قوله تعالى : (وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ)[٣٩] .

٢. الحوار الداخلي : والمقصود منه حديث الشخص مع نفسه[٤٠]، مثل حديث هابيل بن آدم الذي قتل أخاه قابيل وعجز عن مواراته في التراب فقد تحدث مع نفسه قائلاً : (يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَن أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي)[٤١] .

المطلب السادس : العنصر الإيقاعي

أولاً : مفهوم العنصر الإيقاعي :

يعرفه – رحمه الله – بأنه : (مجموعة من الأصوات أي الحروف التي تنتظم في وحدات خاصة ذات نسق متجانس فيما بينها ، بحيث يتحقق هذا النسق من خلال التكرار لتلكم الأصوات ، سواء أكانت هذه الأصوات حرفاً واحداً متكرراً أو وحدة صوتية ذات نبرٍ أو مقطع يتألف من صوتين مثلاً ، أو وحدة صوتية تتألف من مجموعة مقاطع تكون عبارة منتظمة ، أو وحدات صوتية من العبارات المتوازنة فيما بينها)[٤٢] .

ثانيــاً : مستويات العنصر الإيقاعي :

١. من حيث البنية :

يرى البستاني أن التنظيم الصوتي في نظام التعبير القرآني من حيث البنية العامة للصَّوت يخضع إلى عنصرين هما :

– الصوت : والمقصود منه نفس الحروف[٤٣]، مثل حرف النون في قوله تعالى : (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ)[٤٤]، فـ" نون " وهي الحرف الأخير من عبارات " الزيتون " و" التين " و " سينين" تجسد صوتاً واحداً .

– المـــدى : والمقصود منه حركة الحرف من حيث امتداده أو تفخيمه أو قصره[٤٥] مثل حرف الياء وهو الحرف الذي يسبق حرف النون في عبارة " سينين " والواو التي تســبق النون في عبارة " الزيتون "، التي شملها نسق صوتي واحد يتمثل فـــي " المـــد " فعلـــى الرغم من أن صوتي " الياء والواو " أحدهما غير الآخر إلا أن كليهما خاضـــعان لنظـــام صوتي واحد هو " المد الطبيعي" .

٢. من حيث الصياغة :

يرى – رحمه الله – أن التنظيم الصوتي من حيث صياغة الأصوات في نظام التعبيـــر القرآني يخضع إلى مستويين من الصياغة هما :

– التجانس : والمقصود منه تجانس صوتين فصاعداً[٤٦]، كتجانس حـــرف الـــدال فـــي عبارات " البلد، ولـــد، كبد " في سورة البد .

وهذا المستوى من التجانس له أنماط متعددة، فقد يتمُّ من خلال عبارة مفردة أو عبـــارة متكررة ، وقد يكون منتظماً – أي بحسب الموقع الجغرافي للفظ – وقد يكون غير منتظم – أي الأصوات غير المنتظمة في مواقع خاصة – وفي كل واحد من هذه الأنماط يتضح جمالية عنصر التجانس حينما يقترن بتوازن العبـــارات أو الفقـــــرات[٤٧] .

– التماثل : والمقصود منه تماثل الأصوات بالنسبة إلى مخارجها من الفـــم[٤٨]، كتماثـــل صوت الزاي والسين والصاد في قوله تعالى : (**ولقد زيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ**)[٤٩]، إذ إن الزاي في " **زَيَّنَّا** " والسين في " **السَّمَاء** " والصاد في " **مَصَـــابِيحَ** " كلهـــا متماثلـــة فـــي مخارجها بالنسبة إلى الجهاز الصوتي للفم على الرغم من عدم توحدها في الحـــروف إلا أنها من حيث الإيقاع الصوتي تحقق الانتظام نفسه الـــذي تحققـــه الأصـــوات المتحـــدة الحروف[٥٠].

ثالثاً : أقسام العنصر الإيقاعي :

العنصر الإيقاعي لنظام التعبير القرآني عند د. البستاني – رحمه الله – ينقســـم إلـــى قسمين هما :

– إيقاع خارجي : والمقصود منه التنظيم الصوتي للعبارات من حيث المظهر الخـــارجي الذي تتحسسه الأذن بسماعه[٥١]، وهو ما تقدَّم بيانه عنه في الأمثلة السابـــقـــــة .

– إيقاع داخلي : والمقصود منه تجانس المظهر الخارجي للأصوات مع الدلالة الفكرية للنص الكريم، كأن يختار النص لموضوعات المسرّة أو الألم ما يناسبها من الإيقاع الذي يجانس تلك الموضوعات[٥٢]، مثل قوله تعالى : (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ)[٥٣] فقد جاء العنصر الإيقاعي في هذا النص الكريم متمثلاً بحرف " السين " الذي احتل موقعاً خاصاً يناسب مفهوم " قيام الساعة " وما يواكبها من هول ، لأنَّ " الساعة " تتضمن حرف " السين " كما أن " السين " من الحروف الدالة على الاستقبال ، وهو ما يناسب قيام الساعة التي تقع مستقبلاً [٥٤] .

المطلب السابع : عنصر الجنس الأدبي

أولاً : مفهوم عنصر الجنس الأدبي :

وهو ما أسماه د. البستاني – رحمه الله – بـ(العنصر الشكلي)[٥٥]وقد اخترنا عنوان (الجنس الأدبي) بدلاً عن(العنصر الشكلي) لتبادر المعنى منه إلى ذهن القارئ.

وقد عرَّف د. البستاني – رحمه الله – هذا العنصر بأنه : (المظهر الخارجي للنص من حيث البنية الجسمية له ، مثل السورة القرآنية والخطبة ، والخاطرة ، والقصة ، والقصيدة والمسرحية .... الخ)[٥٦] .

ثانياً : الجنس الأدبي للسورة القرآنية :

السورة القرآنية الكريمة بحسب تعريفه – رحمه الله – بأنها : (شكلٌ فنيٌّ متفرِّدٌ من بين جميع الأشكال الأدبية المألوفة لدى البشر ، بحيث يتميز بها القرآن الكريم فحسب دون أن يشاركه غيره في هذا الشكل) [٥٧] .

يظهر من هذا القول أنَّ البستاني لا يفرِّق بين السورة القرآنية والنص الأدبي من حيث أنَّ كل واحد منهما يمثل نصاً أدبياً متكاملاً له عناصره وأدواته التي تتجانس وتتآزر فيما بينها مكوِّنة وحدة بنائية كبرى، إلا أنه ينظر إلى السورة القرآنية على أنها نصٌ أدبيٌّ الهيٌّ له بناؤه الخاص الذي يجعله يتميَّز ويتفوَّق على بقية الأشكال الأدبية ، وكلا النصَّين (السورة القرآنية والنص الأدبي) عنده – رحمه الله – يظلان خاضعين لعناصر بناء النص – بشكل عام – الذي يترك أثره الكلي في ذهن المتلقي .

المطلب الثامن : عنصر النظم للنص الأدبي

مفهوم عنصر النظم للنص الأدبي :

عرَّف – رحمه الله – هذا العنصر بأنه : (العمارة التي يقوم النص الأدبي عليها بصفته مجموعة من الأفكار والموضوعات التي تخضع لتخطيط خاص في صياغتها ، من حيث ارتباط كل جزء منها بالآخر ، أي ارتباط أول النص ووسطه ونهايته بعضها مع الآخر ، وارتباط كل موضوع بما سبقه ولحقه من الموضوعات ، ثم تجانس العناصر اللفظية والإيقاعية والصورية وتجانسها مع الموضوعات والأفكار المشار إليها وهذا يعني أنَّ النص الأدبي هو وحدةٌ فنيةٌ تنتظمها مجموعة من الموضوعات والأساليب ، تخضع لهيكل خاص من الصياغة)[٥٩] .

المطلب التاسع : الأساليب الفنية في بناء موضوعات السورة القرآنية

– أولاً : أسلوب الفكرة الواحدة والموضوع الواحد

– معناه :

هو أن السورة الكريمة يمكن لها أن تحمل بين ثناياها فكرة واحدة تتجسَّد في موضوع واحد تريد الإفصاح عنه[٦٠] وهذا الأسلوب ينحصر وروده غالباً – بحسب علمنا والله أعلم– في السور القصار من القرآن الكريم .

– مثاله : (سورة القارعة)

قال تعالى : (القارعة * مَا الْقَارِعَةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ * يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ * فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ)[٦١] .

قال د. البستاني عند تفسير هذه السورة : (هذه السورة تتناول اليوم الآخر من حيث مراحله الثلاث : الانبعاث ، المحاسبة ، المصائر النهائية ، فيما تتم صياغة هذه المراحل من خلال وحدة فكرية تنتظم السورة ، وتخضعها لعمارة محكمة ممتعة تتضمن عنصراً قصصياً وصورياً وإيقاعياً تصب جميعاً في الرافد المشار إليه)[٦٢] .

فالملاحظ أنَّ هذه السورة قد تضمنت موضوعاً واحداً تجسدت فيه فكرة واحدة هي فكرة الحديث عن اليوم الآخر بمراحله المختلفة .

ثانياً : أسلوب الفكرة الواحدة والموضوعات المتعـــددة

– معناه :

هو أنَّ السورة الكريمة يمكن لها أن تحمل فكرة واحدة تتجسد في موضوعات مختلفة ، بحيث تصبُّ جميع هذه الموضوعات في فكرة واحدة وهدف واحد ، يكون بمنزلة الخيط الناظم والمعنى الجامع الذي تريد السورة بأكملها إيصاله إلى المتلقي(٦٣) .

– مثاله : (سورة الفلق)

قال تعالى : (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وقب * وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ)(٦٤) .

فهذه السورة تتناول جملة من الموضوعات المتفاوتة ، ولكنها ترتبط في وحدة فكرية تجمع بين هذه الموضوعات ، وهي الاعتصام بالله من الشر (والدليل الفني على أنَّ الوحدة الفكرية في السورة هي الاستعانة بالله من مطلق الشر هو قوله تعالى : " قُلْ أَعُوذُ برَبِّ الفلق * مِن شَرِّ مَا خَلَق " أي من مطلق الشر لكن بما أن النص ذكر بعد ذلك جملة من موارد الشر حينئذ نستنتج بأن هذه الموارد هي من اشد أنماط الشر)(٦٥) .

ثالثاً : أسلوب الموضوع الواحد والأفكار المتعددة

– معناه :

هو أن تطرح السورة الكريمة موضوعاً واحداً تتجسد فيه أفكاراً متعددة يراد إيصالها إلى المتلقي ، بحيث يكون هنالك تجانس وانسجام بين ذلك الموضوع وبين تلكمُ الأفكار التي تريد السورة الإفصاح عنها(٦٦) .

– مثاله : (سورة يوسف)

تبدأ سورة يوسف من قوله تعالى : (الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ)(٦٧) وتنتهي بقوله تعالى : (مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى ولكن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)(٦٨) .

قال الدكتور البستاني – رحمه الله – عند تفسير هذه السورة : (إنَّ موضوعها واحد هو : حياة يوسف ، إلا أنَّ أهدافها متعددة مثل مفهوم الصبر ، والحسد ، والغيرة)[٦٩] .

رابعاً : أسلوب الأفكار المتعددة والموضوعات المتعددة

– معناه :

هو أن تجيء السورة الكريمة حاملة بين ثناياها أكثر من فكرة تتجسد في أكثر من موضوع ، بحيث توصل إلى ذهن المتلقي عدة موضوعات ترتبط فيما بينها بأواصر متآلفة مجتمعة تصب في رافد موحَّد[٧٠] .

– مثاله : (سورة الصافات)

تبدأ سورة الصافات بقوله تعالى : (وَالصَّافَّاتِ صَفًّا)[٧١] وتنتهي بقوله تعالى : (وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)[٧٢] .

قال – رحمه الله – : (تنتظم السورة موضوعات مختلفة : بخاصة سلوك الأنبياء عليهم السلام، فضلاً عن موضوعات متفرقة تصب جميعا في رافد فكري موحد بينها هندسياً)[٧٣] وقال – رحمه الله – : (كان الموضوع الأول خاصاً بالملائكة ، وكان الموضوع الآخر هو توحيد الله ، وكان الموضوع الثالث هو تزيين السماء الدنيا بالكواكب وكان الموضوع الرابع هو : منع الشياطين من الصعود إلى الملأ الأعلى وكان الموضوع الخامس هو : سلوك الكافرين ، وهكذا تتوالى الموضوعات واحداً بعد الآخر إلى نهاية السورة الكريمة ... فالملاحظ أن هذه الموضوعات متنوعة لا علاقة لبعضها مع الآخر لكنها عندما تنتقل من موضوع إلى آخر تمهِّد له بما هو مشترك بينهما)[٧٤] .

خامساً : أنواع العلاقات في السورة القرآنية

أنواع العلاقات التي يترتب عليها بناء موضوعات السورة القرآنية ثلاثة هي :

أولاً : علاقة السببية :

– معناها :

هو أن يجرى ترتيب موضوعات السورة القرآنية أحدها على الآخر على نحو السببية ، بحيث يكون كل موضوع سبباً للاحقه ومسبباً عن سابقه[٧٥]، وهذه علاقة واضحة في آي السورة الكريمة يمكن لدارس السورة أن يكتشفها بيسر من دون تكلف أو مشقة .

- مثالها :

قال تعالى : (إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى * فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى)[٧٦].

إنَّ العلاقة بين قوله تعالى : " مَنْ لاَ يُؤْمِنُ بِهَا " وقوله : " وَاتَّبَعَ هَوَاهُ " علاقة سببية ، لأنَّ إتباع الهوى هو سبب الهلاك والكفر بيوم القيامة .

ومن لطائف التعبير القرآني ودقته في هذا النص الكريم ، أنه استعمل الفعل " اتبع " بصيغة الماضي، مع أن المعطوف عليه وهو قوله تعالى : (مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا) قد ورد بصيغة المضارع ، وهذا دالٌّ على تقدُّم مرحلة إتباع الهوى على مرحلة إنكار قيام الساعة .

ثانياً : علاقة النمو :

- معناها :

هو أنَّ موضوع السورة الكريمة ينتقل ويتحول من مرحلة إلى أخرى كما يتنامى الكائن الحي ، فيقتطع مراحل متنوعة حتى يصل إلى ذروة نموِّه[٧٧] .

- مثالها :

قال الدكتور البستاني – رحمه الله – عند تفسير الآية العاشرة من سورة الأعراف وهو قوله تعالى : (وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ)[٧٨] والآية السابعة والخمسين من السورة نفسها وهو قوله تعالى : (فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ)[٧٩] قـــال : (هنا ينبغي أن لا نغفل بأن النص في مقدمة السورة قد طرح موضوع الأرض وإلا أن الله جعلها معايش للناس وهذا يعني من زاوية عمارة النص أن تخصيص الأرض بهذا الحديث من حيث إخراجها للثمرات حيث تعدُّ الثمرات هي المادة الرئيسة للعيش . إنما جاء هذا التخصيص مرتبطاً بمقدمة السورة ، والى أن هذا التفصيل إنما هو إنماء لمقدمتها)[٨٠] .

ثالثاً : علاقة التجانس :

- معناها :

هو أن الموضوعات والأفكار التي تتناولها السورة الكريمة يتجانس بعضها مع بعض في خطوطه العامة ، وكذلك بالنسبة إلى العناصر التي تُستعمل لأجل إنارة فكرة السورة ، كعنصر اللفظ والإيقاع والصورة ....الخ من عناصر تنظيم النص الأدبي[٨١] .

- مثالها : (سورة الماعون)

قال تعالى : (أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ * فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ)[٨٢] .

فقد طرحت هذه السورة الكريمة موضوع المكذب بالدين وموضوع الساهي عن الصلاة، مع كون أحدهما غير الآخر ، إلا أنهما يتجانسان في سلوك واحد هو عدم الإنفاق وعدم مساعدة الآخرين ، فالمكذب بالدين لا يحض على طعام المسكين ، والساهي في الصلاة يمنع الماعون ، وكلا الظاهرتين تمثل سلوكاً اقتصادياً سلبياً[٨٣] .

الهوامش :

١. القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي ، محمود البستاني : ٣٥ .
٢. سورة العاديات .
٣. التفسير البنائي للقرآن الكريم ، محمود البستاني : ٣٨٦/٥-٣٨٧ .
٤. انظر : القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي : ٤٣ ، وانظر : البلاغة الحديثة في ضوء المنهج الإسلامي ، محمود البستاني : ١٨ .
٥. سورة الماعون : ٤-٧ .
٦. انظر : القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي : ٤٥ .
٧. سورة يوسف : ٣٠ .
٨. انظر : القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي : ٤٥ .
٩. سورة يوسف : ٣١ .
١٠. انظر : القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي : ٤٦ .
١١. سورة يوسف : ٢٣ .
١٢. انظر : القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي : ٤٦ .

١٣.المرجع نفسه : ٤٩ .

١٤.انظر : المرجع نفسه : ٢٨ .

١٥.انظر : المرجع نفسه .

١٦.انظر : المرجع نفسه .

١٧.انظر : المرجع نفسه : ١٩ + البلاغة الحديثة في ضوء المنهج الإسلامي : .

١٨.انظر : المرجع نفسه : ٥٣ .

١٩.انظر : المرجع نفسه : ٥٣ .

٢٠.انظر : البلاغة الحديثة في ضوء المنهج الإسلامي : ٥٤ .

٢١.القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي : ٦١ .

٢٢.انظر : المرجع نفسه : ٦١-٦٢ .

٢٣.المرجع نفسه : ١٧١ .

٢٤.سورة الفرقان : ٤٤ .

٢٥.القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي : ٢٢٧ .

٢٦.انظر : المرجع نفسه : ٢٣٠ .

٢٧.سورة يوسف : ٨٢ .

٢٨.انظر : القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي : ٢٣٠ .

٢٩.كعالم سبيط النيلي ، انظر : النظام القرآني ، النيلي : ٧٦ .

٣٠.سورة ص : ٢٩ .

٣١.القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي : ٢٣١ .

٣٢.انظر : المرجع نفسه : ٢٣٢ .

٣٣.سورة الكهف : ٣٤ .

٣٤.انظر : القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي : ٢٣١ .

٣٥.سورة الكهف : ٣٤ .

٣٦.انظر : القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي : ٢٣٨ .

٣٧.سورة الأعراف : ٨٥ .

٣٨.سورة هود : ٣٢ .

٣٩.سورة الأعراف : ٥٠ .

٤٠.انظر : القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي : ٢٣٨ .

٤١.سورة المائدة : ٣١ .

٤٢.القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي : ٢٧١ .
٤٣.انظر : المرجع نفسه : ٢٧١ .
٤٤.سورة التين : ١-٢ .
٤٥.انظر : القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي : ٢٧٢ .
٤٦.انظر : المرجع نفسه : ٢٧٢ .
٤٧.انظر : المرجع نفسه : ٢٧٣ .
٤٨.انظر : المرجع نفسه : ٢٧٢ .
٤٩.سورة الملك : ٥ .
٥٠.انظر : القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي : ٢٧٢ .
٥١.انظر : المرجع نفسه : ٢٧٩ .
٥٢.انظر : المرجع نفسه : ٢٨٠ .
٥٣.سورة القمر : ١-٢ .
٥٤.انظر : القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي : ٣٢٣ .
٥٥.انظر : المرجع نفسه : ٢٨١ .
٥٦.انظر : المرجع نفسه : ٢٨٢ .
٥٧.المرجع نفسه : ٢٨٦ .
٥٨.انظر : المرجع نفسه : ٣١١ .
٥٩.القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي : ٣١٣ .
٦٠.انظر : التفسير البنائي للقرآن الكريم ، محمود البستاني : ٩/١ .
٦١.سورة القارعة :
٦٢.التفسير البنائي : ٣٩٠/٥ .
٦٣.انظر : التفسير البنائي : ٩/١ .
٦٤.سورة الفلق .
٦٥.التفسير البنائي : ٤٦٠/٥-٤٦٢ .
٦٦.انظر : التفسير البنائي : ٩/١ .
٦٧.سورة يوسف : ١ .
٦٨.سورة يوسف : ١١١ .
٦٩.القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي ، محمود البستاني : ٣١٨ .
٧٠.انظر : التفسير البنائي : ٩/١ .

٧١.سورة الصافات : ١ .

٧٢.سورة الصافات : ١٨٢ .

٧٣.التفسير البنائي : ٦١/٤ .

٧٤.القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي : ٣١٨-٣١٩ .

٧٥.انظر : التفسير البنائي : ٩/١ .

٧٦.سورة طه : ١٥-١٦ .

٧٧.انظر : التفسير البنائي : ٩/١ .

٧٨.سورة الأعراف : ١٠ .

٧٩.سورة الأعراف : ٥٧ .

٨٠.التفسير البنائي : ٣٣/٢ .

٨١.انظر : التفسير البنائي : ٩/١-١٠ .

٨٢.سورة الماعون .

٨٣.انظر : التفسير البنائي : ٤٢٨/٥ .

مصادر البحث ومراجعه :

- خير ما نبتدئ به كتاب الله الخالد .
- البلاغة الحديثة في ضوء المنهج الإسلامي، محمود البستاني ، دار الفقه للطباعة، قم – إيران، ط١، ١٤٢٤ هـ .
- التفسير البنائي للقرآن الكريم، محمود البستاني، مؤسسة الآستانة الرضوية المقدسة ، مشهد – إيران، ط١، ١٤٢٢ هـ .
- القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي، محمود البستاني ، مؤسسة الآستانة الرضوية المقدسة، مشهد – إيران، ط١، ١٤١٤ .
- النظام القرآني مقدمة في المنهج اللفظي، عالم سبيط النيلي ، دار المحجة البيضاء، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ .

Abstract

I went to this research study researcher Quranic sura structure through structural interpretation approach taken by the gardener - God's mercy - in the structural interpretation of the Holy Quran.

And sap the facts that emerged from the researcher that the Quranic sura him - God's mercy - built from eight elements: the intellectual element of substantive component element of moral element and the picture element verbal and rhythmic element and the element of formal and structural element.

These elements him - God's mercy - are the same elements of the building of the literary text، since both texts (Sura Quranic text and literary) - from his point of view - remain subject to these elements in general، but it looks to Sura as a form of literary singularly privileged has surpassed other other literary constructions.

Researcher through this interpretation has found that building Sura blessed themes are according one of the four methods، and one of the three relationships، either methods are: style single idea and theme per style per idea multiple themes، and style of one subject and multiple ideas، and style of multiple ideas multiple subjects.

The relations are: the causal relationship، and the relationship of growth، and the relationship of homogeneity .